إهداء

إليك يا نفسي.

مقدمة

هذا الكتاب الصغير خريطة لهذيان شخص مجنون وهو أنا أو ربما أنت أو ربما نحن، من يدري...

ربما لن تفهم المقصود من أول قراءة أو الثانية وربما لن تفهم أبدا لكن تذكر أنك إن لم تفعل فعلى الأغلب أنت شخص عادي ولا عيب في هذا أبدًا بل العكس فنحن نحسدك على هذه النعمة - أو ربما لا نفعل - لكن لا يهم.

هذا الكتاب ليس مرتبا وقد تراه عشوائيا وليس مترابطا وقد تظن أنه بدون معنى، لكن هذه هي الغاية منه فالشخص المستهدف هو من يعاني في صمت ويبحث عن شخص مثله حتى لو كان ذلك يعني أن عليه قراءة الكلمة مائة مرة لكي يشعر بها أكثر كل مرة، ويسقطها على نفسه كل مرة بطريقة مختلفة.

فيا من تتمنى عدم طلوع شمس يومٍ جديد ويا من تعبتَ من كل شيء حتى نفسك ويا من تحسد الميت على راحته، هذا كنزي الذي جمعته بعد سنين مرت كأنها قرون وتبا لم تنتهي بعد، ولن تنتهي فمن فهم يومًا لن يعود كما كان من قبل. وكما

أن الاعتياد يُفقد جمالية الشيء فإنه يُفقد قباحته كذلك. لكن إحذر فكثير من الاعتياد يساوي وضعًا أسوأ

ولادة النار

اختفى القمر واختفى معه نوره الخفيف، اختفى الربيع واختفى معه لونه الأخضر الجميل فكل ما أراه هو ظلامٌ قاحل، ظلام يجبر الشمس على الركوع في حضرته... تبا لي ظننت أني أستطيع المواجهة لكني كنت مخطئا فهذه هي الحياة - ليست رواية - وهذا هو أنا - لست البطل الذي ينقذ العالم - فأنا القارئ الذي ترك القراءة لرداءة المحتوى، أما أنت فتكون مجرد شخصية ثانوية منسية وسط الأحداث اللانهائية. الأمر مرعب أليس كذلك؟ لكن صدقني فإني أريد مساعدتك.
لا غاية من الغاية فلا أحد يقرأ، ولا معنى لخاتمة عندما تغيب المقدمة. لا أحد يهتم ليس ضعفا منا بل لعدم وجود أحد ليهتم، أما اهتمام المهتم لنفسه لا يهم. فقطرة الماء الساخنة تبرد في الكأس البارد والعكس صحيح.

تعبت من شرب فضلات الفيل لعلي أنشط قليلا.
تعبت من صوت الغد فتبا له لا أعرف أكذب منه.
تعبت منكم ومن نفاقكم ومن احترافيتكم المصطنعة.

تعبت من البحر... وإن كنتم لا تعرفون عن بحركم إلا القليل فإني أغوص يوميا حتى حصلت على قدرة التنفس فيه، ونسيت كيف أتنفس ما تتنفسون.

لعلي مجنون لكني لا أخفي جنوني عكسكم.

ألم تتعبوا من التظاهر بأن كل شيء بخير ؟

ألم تتعبوا بعد من الجري في هذا السباق الذي لا يريد أن ينتهي ؟

على كل حال لقد انسحبت منه منذ زمن طويل.

يتمنى من لا أمنية له الحصول على واحدة أما أنا أمنيتي هي أن لا أتمنى، فقد شربت من المطر أملا في أن أصبح سحابة. وسبحت في النهر أملا في أن أصبح بحرا، وكل تجاربي تخبرني أني أملك أقداما رغم أمنياتي لدرجة التصديق أن لدي أجنحة.

لعل غاية الحالم أن لا يستيقظ، فإن فعل لن يعود حالما مجددا.

من يكتب ؟

من هذا الذي يكتب ؟
أنا أم أنت أم نحن ؟

لم أعد افهمني أو افهمنا، افهمها كما شئت. حروفنا مقنعة بقناع الياسمين في حين أنها مستخرجة من أنياب كوبرا عملاقة، أول قضمة تعطيك ذوق العسل ولن تشعر بشيء آخر لأنك ستتذوق الشيء الحقيقي بمجرد أن تموت فقط، فنعم كلامي موجه للموتى لمن ليسوا على قيد الحياة. ومن يهتم بالكلام مع الأحياء فهم مملون بكل صراحة.

فليأت واحد من الموتى ليلقي كلمة

- عشتُ مجردا متجردا في ثنايا الصبر ولم أخف يوما أو أقلق، ورسالتي لبقية إخوتي الموتى هي أن نجتمع معا فقد سئمت طبيعتي الصبورة الهادئة وسئمت من نفسي بحد ذاتها ولعل هذا الحي الميت الذي أعطاني فرصةً للحديث معكم أول خطوة لنا من أجل حياة أفضل.

حسنا لقد انتهى وقتك، فليأت ميت آخر

- لا أصدق أن موتي قد مر عليه كل هذا الوقت، فأنا أشعر أنه مر أبطأ من القرن وأسرع من الثانية. لا أزال أتذكرها فقد كانت سبب موتي وما يحزنني أني كنت الوحيد الذي مات.

فلتتوقف التجربة، لستم مستعدين بعد لتسلموهم سمعكم لكن سيحدث الأمر في الوقت المناسب.

نخذ الحكمة من أفواه من لا فاه لهم، وتعلم السمع من عند من لا يصمت. خذ السالب من الموجب والموجب من السالب، ولا تكن طبيعيا فالحياة تعاقب المقلدين.

لقد نفيت نفسي منذ مدة، فأنا أعيش وحدي في جزيرة كبيرة ولا مجال للعودة منها أبدا. في البداية وضعت إشارات في حالة مرور طائرة - SOS - لكن لم يتم ملاحظتها قط. ثم اكتشفتُ الجزيرة بانيًا نظامًا معقد يسمح لي بالصبر حتى يتم انقاذي، لكن الوقت قد مر ولم يتغير شيء. امتلأَتْ الجزيرة بالناس - لا أدري إن كانوا حقيقيين - وفجأةً أحببتها وأحببت البقاء فيها لروعة أولئك الناس، لكن المواضيع انتهت وانتهى المطاف بحروب لا مهرب منها.

فقصتي كانت عن مكان كرهته ثم احببته ثم كرهته مجددا ثم لم أعد أهتم له، ولطالما فكرت في أول طائرة مرت فقد شعرت أنها رأت علامة النجدة لكنها ربما كانت في عجلة من أمرها ولم تمتلك الوقت لإنقاذي.

قبر الصمت ينبت فيه الضجيج، ولا شيء يختفي بعد أن يظهر. تمر اللحظات مجمدةً بشكل دافئ، هي لا حرارةَ لها لكن التفاعل معها يعطيها حرارتك. ولا تفكر بتقبيلها لأنها ستصفعك مهما طال الزمن. عاملها كمرحاض تقضي فيه حاجتك ولا تنسى التنظيف بعد أن تنتهي.

دع الأمور تُعَرف عن نفسها فأنت ظالم نفسك إن لم تفعل، وقم بثني كمك قبل لمس سمها القاتل. تجرد من نفسك قليلا عندها ستفهمها، وعاملها كما علمتك فإنها صفعتني حتى صرت أعرف حجم يدها بدقة.

دعك مني أنا الشاب العجوز، ما يفصلني عن الموت هو النوم معه فإني قد أحببته ولم أعرف أجمل وألطف منه في حياتي. ورسالته لكم يا معشر البشر أنه يحبكم وصدقوني عندما أقول أن الحب من طرف واحد لن يروق لكم. فالجهة الحادة من السكين تكون ألطف على الجدار من قلم يشوه جماله.

الجنون الذي لا يدان

سلامٌ على من لا سلامَ له.
ولا سلامَ مني لو كنت في سلام.

لطالما وصفني الناس العاديون - الذين يخافون الموت - أني أحب أن أكون مختلفا، لكن الذي يفشلون في إدراكه هو أنهم يحبون أن يكونوا عاديين وهذا أسوء. فما ذنب التنين المدمر إن كان جميلاً، والذنب يستحقه الصرصور إن كان قبيحاً. الذنب لا يكون ذنباً إن كان جميلاً، ويتضاعف إن كان قبيحاً. فجنوني واختلافي هو ذنبي لكن جماله ينجيه، وعاديتك هي ذنبك والقبح هو ما يدينها.
لا شيء جميل لكن تمنى أن يُرى جميلاً عندما تحتاج ذلك.
لا شيء قبيح لكن تمنى أن لا يُرى قبيحاً عندما تحتاج ذلك.
وبصراحة فقد قفزت بيدي للأسفل عندما قيل لي أنني إنسان، فما هذا النفور الغريب من المكان الذي ولدت فيه. أنا غزالٌ لاحم يجري خلفَ أسدٍ نباتي لكي يقدمه إلى سمكة كوجبة عشاء.

تقلصت شيطانتي ببطء متجهةً نحو أسفل السلم غامزةً لي كإعلان للمستقبل الذي نعرفه أنا وهي - سأبقى هنا حتى تكرهني ثم أعود لأعلى السلم - ولم اهتم فتبا لها إن الأمر يتكرر منذ مدة، لكن هذه المرة حدث شيء جديد فقد لاحظَت أنها تم ملاحظتها من شخص غريب فباشرت تحاول قتله بكل قوة.

لم تلبث طويلا حتى عرفت أني من أخبرته، اللعنة لقد صارت أقوى مما كانت عليه. طلبت العفو لكن دون جدوى، أردت الكلام لكنها لم تعطني فرصة.

وعقابي النهائي كان عندما أصبحت تقسم نفسها لتصبح في أعلى وأسفل السلم في نفس الوقت.

ماذا سأفعل ؟

تعود على الموضوع فحسب.

يتجمد كلامي لمجرد وخزة من عنكبوت صغير، ولكن لو أحضرت كل العناكب في الأرض فلن ينعكس الأمر. والوخزات المستمرة والانتقالات المجنونة علمتني شيئاً أساسياً.

الجحيم ليس مكاناً بل هو الناس، والجنة خرافة لا وجود لها. لكن الخيال يخترع ولو كنتَ مجنوناً بما فيه الكفاية فسيتحقق. عندها سأقول أن جنتي هي حروفي، كل حرف يكون ثَمِلاً ويلتقي مع إخوته ليشكلوا كلمات سامة.

لو كنت إلهاً لشرحت أن الجحيم هو الأصل والجنة تتحقق بالجنون، وأضيف شيئاً جديداً يدعى الجنة الخاتمة، وهي العدم. لن يدخل دياناتي من يحب الجحيم - الحياة والناس - وهذا كاف بالنسبة لي. أما رعيتي الذين يتلذذون في الجنة فإني منهم وفيهم بل وإني أتلذذ لتلذذهم أيضاً، ولست بسلطان عليهم بل إني مجرد بشري مبشِر.

الشيطان هو الجحيم نفسه فلن يضرك إلى إن كنت هو، والملائكة هم الجنة نفسها وهم الجنون بأنواعه فلن يأتوا لك بل أنت من ستخلقهم بنفسك. والجنة الخاتمة لن يكون فيها شيطان أو ملائكة أو جحيم أو حتى جنة، وهذه هي أجمل جنة...

عندما يتحول الهدف إلى سهم

تقدم العمر متناسياً قربه من الفناء، وما أحبه فيه هو عدم اعترافه بتلك الرغبة الغبية في الخلود. لم يماطل يوما بل يعمل كل في لحظة دون توقف، ثم أنظر إليه بعيني فخورًا مبارِكًا لجهوده. لكن الوضع لم يكن هكذا دائماً فقد كنا كالقط والفأر، بل كالسهم والنقطة الحمراء علمًا أن الرامي قد فقد نظاراته. لقد كنت الهدف في المعادلة لكني قررت الخروج عن المألوف، فتحركت من مكاني حتى أصيب السهم ليتحول السهم إلى هدف والهدف إلى سهم. وأنا هدف نبيل ومحترم فبعد أن صرت أستطيع الحركة قمت بإيجاد نظارته وإعطائها له، ومنذ ذلك اليوم صرنا أفضل الأصدقاء لكن لم يعش الكل بسعادة ولم تكن نهاية القصة...

إن ذلك الطفل الصغير ليس أنا، وهذه من الأمور التي تجعل الإنسان ضعيف، فالشخصية تتمحور حول الذكريات، ولا تستطيع أن تكون شخصا تسمع عنه حكايات فقط، حتى لو كان جسمك من مر بتلك الحكايات. ماذا لو فقدت ذاكرتي نهائيا ؟

الجواب ببساطة أني سأولد من جديد، وبكل صراحة بعد الموت اتمنى فقدان الذكريات، أن اصبح انسانا جديد، اطور شخصية جديدة عادية وأعيش حياة عادية.

الحياة التي أعيشها لا يمكن وصفها بالعادية فأنا مقسوم لشقين خارجي وداخلي، الخارجي عادي جدا، عندما تراني أو تتكلم معي لن تشعر بشيء مميز حيالي بتاتا، لن تقول أن هذا الشخص مثير للإهتمام. أما داخليا فأنا أحارب نفسي مع نفسي من أجل نفسي، ثم مررت بمرحلة تخليت عن نفسي، لكن نفسي لم يعجبها الأمر فقامت بمحاربتي من أجل نفسي، والآن لا أعرف أي واحدة منهم التي تكتب الآن.

وهذا الاختلاف الكبير بين الداخل والخارج يعود لضعفي في الترجمة، فلست مترجما جيدا من المشاعر إلى الكلمات، وخصوصا عندما يجب أن أترجم بعفوية دون تفكير مثلما أفعل الآن، وحتى الآن لا أشعر بالرضى ولم أترجم بأفضل طريقة ممكنة لكني أحاول.

أحاول أن أعرف نفسي وأحاول أن أعرف الناس وأحاول أن أجد السعادة وأحاول وأحاول وأحاول، لو طلب مني وصف حياتي بكلمة واحدة ستكون "المحاولات"

متناقض

نفسي لاحظت شيء كنت أهرب منه باستمرار، وهو أني كنت أمثل فقط، ذلك العادي الذي كنت أتفاخر به ما كان إلا أنا أمثل دور العادي، و تعاهدت مع نفسي من ذلك اليوم أن أوقف التمثيل فلست ممثلا بارع أصلا، كنت اعتقد ذلك فقط.

نفسي تعلمت الكثير من الأمور منذ ذلك الوقت، ولعل أكثر شيء مهم هو التخلي عن الخيال، تحولت لما أحب أن اسميه بالإنيما. والإنيما هو من يتخلى عن الخيال الغير ضروري من إسم عائلته واسم بلده والدين وعدة أمور أخرى، عندما تكون إنيما ستكون في أكثر درجة حرية ممكنة، فأنت هو أنت، أنت لست إسمك أو دولتك أو دينك أو معتقدك، أنت هو أنت.

الإنسان ليس متناقضا بتاتا، فكلمة التناقض مبدأ اخترعه البشر تحت فرع كبير يسمى اللغة، لم أجد يوما حيوانا متناقضا أو كوكب متناقض، البشر ليسوا متناقضين، يمكنك أن تكون عالما بالفلك وجاهلا بالتاريخ، أنت عالم وجاهل لكنك لست متناقضا، يمكنك أن تفعل الخير والشر ولكنك لست متناقضا، يمكنك أن تكون جبانا وشجاعا لكنك لست متناقضا.

التناقض هو أن تظن أنك كذلك، لكن ماذا بعد هذا ؟

بعد هذا يمكنك أن تتحكم في حياتك بعيدا عن الغطرسة، يمكنك أن تكذب عندما يستوجب الأمر ذلك وتقول الحقيقة عندما يستوجب الأمر ذلك، لن تربط نفسك في قالب المثالية.

ولست أحرض على الشر فالشر نسبي، وليس قيامك بالكذب مثلا هو السيء، بل النتيجة التي تحدث بعد قيامك بالكذب هي المهمة، فلو كذبك أدى إلى نتيجة جيدة مثلا إنقاذ حياة شخص ما سيتحول الكذب إلى فضيلة، لكنه ليس فضيلة ولا شر إنه أمر نسبي.

وهذا من أكثر الأشياء التي أتمنى الأجيال القادمة أن تستوعبها، الحياة بحد ذاتها نسبية، فلماذا لا نخرج من القوالب المطلقة التي وضعناها لأنفسنا ونرى كل شيء على حقيقته اللحظية التي يمكن أن تتغير بعد خمس دقائق، ثم نحن أيضا نغير رأيَنا بعد تلك الخمس دقائق للتأقلم مع الحقيقة الجديدة ونستمر في ذلك.

الحياة ستستمر في كل الأحوال معي أو بدوني، مع البشر أو بدونهم، مع كوكب الأرض أو بدونه، مع مجرتنا أو بدونها، مع الكائنات الحية أو بدونها ويمكنني النقاش في هذا مع أي شخص، فإذا يمكن طرح سؤال "ما هي الغاية من وجودنا؟"

لطالما اعتقدت أن هذا السؤال باطل، فقبل أن تطرح هذا السؤال يجب أن تكون تعرف إن كان لدينا غاية أصلا. لكن وللأسف لا يوجد شيء في الكون يدعى غاية، تماما مثل التناقض، فنحن نحب جدا أن نفترض ونخترع أمور ثم نتشبث بها وهذا ملاحظ كثيرا.

لنأخذ مثالا جيدا يمكنك من فهم الأمر قليلا، نحن من اخترعنا المال وأعطيناه قيمة أولا وغاية ثانيا، ثم صدقنا قيمته وغايته بطريقة مرعبة حيث أصبح الناس يموتون من أجله ويعيشون من أجله، الأمر ينطبق علينا فنحن افترضنا أن للحياة قيمة وغاية ثم بدأنا نتحارب عن ماهية هذه الغاية، وهناك فئة تقول أننا هنا من أجل عبادة الكيان الذي أوجدنا، مع التحفظ على وجوده لكن هذا ذل لكل شخص يسعى للحرية، والشخص الحر لا توجد العبودية لأي كائن من كان في قاموسه.

سأحكي حكاية :

كان يا مكان في قديم الزمان... طفل ولد في عائلة مكروهة من كل الناس، ترعرع على كره الناس الذين يكرهونه دون أن يفهم لماذا، كبر وكبر وتقاتل مع كثير من الناس وقتل الكثير منهم، وذات يوم كان والده على فراش الموت.

- يا أبي لماذا كل الناس يكرهوننا ؟

- لا أدري يا إبني فحتى أنا عندما ولدت وجدت الأمور هكذا وعندما سألت والدي قال لي أنه حتى هو لا يعرف ووالده لا يعرف

أكمل ذلك الرجل حياته وأنجب طفلا أكمل المسيرة وبقت الأمور مستمرة هكذا لمئات السنين.

انتهت الحكاية.

والتساؤل هو ما السبب الذي جعل تلك العائلة مكروهة ؟

الجواب بكل بساطة هو أن هذا غير مهم فحتى الناس لا يعرفون السبب، وذلك السبب الأول أصبح تافها، السبب الحقيقي هو استمرار الرد على الكره بالكره، لو جلس أحد من سلالة تلك العائلة مع الناس وقال أنه يريد صفحة جديدة، سيحصل عليها بكل سهولة، لكن الاستمرار في العيش معتقدا أن هذه هي سنة الحياة شيء سيء - فالحياة لا تملك سنة أصلا - الحياة ليست ما تظن أنها الحياة، الحياة ليست تجربتك الشخصية فيها.

الحياة لا تملك تعريف أو معنى أو مسار، الحياة يمكن القول عنها فقط أنها تستمر، ورأيك فيها غير مهم فما يهم حقا هو كيفية سيرك معها، متجاهلا تقلباتها التي لا تعجبك، فهي لا تعجبك أنت، وأنت لا تهم في المعايير الكبرى ما أنت إلى شيء أصغر من الذرة في هذه الصحراء الكبيرة. لكن من حقك أن تكون أنانيا وهذا

ليس تناقضا، بل صرخة تخرج من انتمائك لهذه الحياة فهذا هو الانتماء الوحيد الحقيقي في العالم، وبعد موتك لن تنتمي لشيء مجددا.

أنا لن أكون حرًا

تحدنا رغباتنا الجامحة الغير منطقية والأنانية في التقدم في الحياة بشكل سلس، وهذه الرغبات قد تكون من اللاوعي أي بيولوجية فحتى الرغبة في التكاثر ما هي إلا غريزة مترسخة فينا فرضتها علينا طبيعتنا ككائنات حية. خياري لطالما كان محاولة رفض هذه الحقيقة رغم جهلي نتيجة هذا الرفض.

التكاثر منافي للحرية لأنني لم اختره بل هو حتمي وأذهب أبعد لأقول أنك إن قمت به حتى عن اختيار - حسب ظنك - إلا أن الحقيقة أنك لم تختره فوجوده ضمن الخيارات بحد ذاته جبر.

الحرية ليست اختيار الخيار الذي تريد فقط بل يجب أن تكون حتى تلك الخيارات أنت من اخترتها، وهذا مستحيل في عدة أمور مما يدفعني بشكل جازم أن أقول بأنه لا يوجد شيء يدعى الحرية بين الكائنات الحية، ويمكن الذهاب أعمق من هذا قليلا عن طريق سؤال بسيط كلنا سنجيبه ب لا، وهو "هل أنت من اخترت أن تكون؟"، طبعا بما أن لا أحد فينا قد اختار فنحن كائنات غير حرة بالضرورة المطلقة.

لكن هل يمكننا تخيل الحرية حقا، فمن أجل الشيء أن يكون حرا يجب أن يكون لديه الحرية في اختيار أن يكون حرا، فيكون إما حر أو ليس حر، وهذه قسمة حاصرة لكن المشكلة فيها واضحة، لو كان لديك خيارين حر أو لا حر هذا بالضرورة يجعلك غير حر لأنهما الخيارين الوحيدين.

ما يزعجني أني منذ بدأت في التذكر أحاول الوصول إلى الحرية حيث كانت هي ما جعلني أستمر وأواصل، وعندما اكتشفت أنها غير موجودة حقا شعرت بخيبة أمل من الحياة، لكن خيبة الأمل هذه أعجبتني لأني توصلت إليها بعد ساعات من التفكير، والآن هدفي أن يخيب ظني أكثر وأكثر، فعندما تفهم شيء عن الحياة دون أن يخيب ظنك إعرف أنك مخطئ، فالحياة ليست كما نتمناها أن تكون، وليست قريبة من ذلك أصلا.

الحياة أزلية والوجود أزلي والانفجار العظيم مجرد حدث عابر في بحر الوجود، وحتى عند التفكير بمنطقية فيجب أن يكون عدد لا نهائي من الوقت الذي مضى بالضرورة لأن الوقت لا يستطيع أن يتحول من عدم الوجود إلى الوجود، و ساعطيك سرا آخر وهو أنه لا يوجد شيء يستطيع أن يكون غير موجود ثم يصبح موجودا، فاللاشيء من غير الممكن وجوده لأن الوجود موجود وباختصار فالموضوع قسمة حاصرة، إما اللاشيء وعندها الشيء مستحيل، وإما الشيء

وعندها اللاشيء مستحيل، وبما أني أقوم بكتابة هذا الكلام حاليا فالخيار الثاني هو الصحيح. وهذا لا مشكلة معه، المشكلة الحقيقية عندما تحاول القول الوجود يستطيع أن يأتي من اللاوجود.

***

عند التفكير عن الحياة حاليا بدون أديان فهذه ستكون مشكلة أكبر من الأديان بحد ذاتهم فالبشر ليسوا كلهم مستعدين للعيش مع الحقيقة، لكن هذا حاليا فقط، سيأتي جيل عاجلا أم آجلا يكون مستعد لهذا الأمر، سيكون جيلا إنساني يفهم حقيقة أننا كلنا بشر ومصلحة الفرد من مصلحة كل البشر على حد سواء، ذلك الجيل لن يقول أن فلان من البلد الفلاني بل سيقول أنا فلان من الأرض من مجرة درب التبانة من الكون، وهذه هي الصورة الأكبر والحقيقية التي لا تحتمل الشك، فكل الدول مجرد صناعتنا وتخيلنا، والحدود متخيلة فقط فلن تجد حيوانا يعترف أو يفهم هذا الأمر، لأنه غير موجود في الوجود الأصلي الحقيقي، نحن من اخترناه وفرضناه على أنفسنا.

لكن القدرة على التحليل والتفكير النقدي المنطقي يجب أن تكون مفروضة على كل الناس إذا أردنا أن نصل إلى ذلك الجيل الذي أتكلم عنه، فما يحد البشر عن التطور هو بدرجة أولى هم أنفسهم، مثلا لو عكسنا الاية وكان الأغلبية هم المفكرون والعلماء لاختلفت الأمور بشكل كبير لكني لا ألوم الوضع الحالي فالإنسان يحب الراحة ويسعى لها، وفي أغلب الأحيان السبب الأول والحقيقي الذي يدفع أي شخص لفعل أي شيء هو محاولة الوصول إلى الراحة، وهذه الصفة سيئة ولطالما تمنيت لو لم توجد فينا.

إن الإنسان يحب أيضا أن يفسر الأمور من وجهة نظره لا أن يراها على حقيقتها، وهذا يوسع منظورنا للحياة لكن ما أحاول القيام به ومتأكد أني لست وحدي هو أن نرى الأمور على حقيقتها، حتى لو كانت الحقيقة لا تعجبنا، فكنت جالسا مع أحد البشر ثم بدأت الأمطار في الهطول ليقول لي أنه يكرهها فهو لا يستطيع أن يعود لبيته بحكم أنه بعيد قليلا، ويوجد أيضا أشخاص كالمزارعين سيفرحون لرؤيتها، لكن الحقيقة المرة أن الأمطار لا تهتم لمشاعر أي شخص، فما هي إلا مياه البحر تتبخر بمفعول الحرارة ثم تتجمع على هيئة سحابة ثم تلك السحابة تقوم بإنزال المياه مرة أخرى في البحر أو في البر وتتواصل العملية في التكرر لهذا الأمطار ليست جيدة أو سيئة أخلاقيا بل هي حيادية وموجودة ويمكن القول أنها تفيدنا أو تضرنا وهذا أمر نسبي حسب الكمية والمدة.

10000 سنة إلى الماضي

أريد أن أعرفكم على بعض من مغامرات صديقي هومو، ولن أعطيكم أي معلومات عنه ما عدا أنه كان يعيش في الماضي البعيد.

استمر هومو برحلته الليلية داخل الحلم الذي كان يعاوده كل ليلة. كان يتمنى أن يتجاوز ذلك الحلم حدود النوم، ليصبح واقعاً يعيشه الجميع.

في كل مرة كان يقترب فيها من فهم المعنى، يعود خطوة إلى الوراء، وكأن الحلم نفسه يخاف من أن يُفهم.

مضت ليلة بيضاء، ثم نسى الموضوع كله، وخرج من كوخه الصغير، يرفع نظره إلى السماء ويصرخ بصوت عالٍ حتى سمعه القرويون جميعاً :

- كل السحاب أبيض، يعيش في نفس السماء، فلماذا قسمنا نحن أنفسنا إلى قبائل ودول؟

قالت سحابة صغيرة لأخرى عملاقة: "إننا سنختفي يوماً ما، فهل تعيرينني قليلاً منك؟

فتمتمت العملاقة بكلمات لم تسمع، وقطعت نفسها إلى نصفين، وكل نصف تنصف، حتى أصبحت آلاف القطع، وبدأت تمطر الأرض كلها.

تعجب شيخ كبير من كلمات الشاب الذي لم يتجاوز الواحد والعشرين بعد، وتعجب لأنه لم يفهم، فقال له

- يا ابني، مالك ترمي وما من ملقي معك؟ الحياة صعبة نعلم هذا، فخذني معك نرتقي ونتعلم.

هرب هومو من الشيخ نحو الجبل، الذي كان بوابة الخروج من القرية إلى باقي العالم. أراد أن يفيض كأسه على الناس، لكن كأسه كان شفافاً، فلا أحد يراه.

فظهر أمامه صديقه هوم، الذي لم يكن سوى اسمه منقوصاً من حرف واحد، لكنه كان أقوى وأكثر حدة وكان هومو هو الوحيد الذي يستطيع سماعه ورؤيته تصاعد الخلاف بينهما

- ما بال ناس نسوا أنهم ناس؟ وما بالي أنا منهم، لكنني أرقى وأعلى؟ ألم يعرف قادتهم تفاهة اللعبة والتمثيل؟

رد عليه هوم بصوت بارد

- ألا تدرك أن التنوع في الخيال هو ما جعلنا هنا؟ حتى أنت تعيش بخيالك، فلماذا تلوم الآخرين على ألعابهم؟ أليست لعبتك أخطرها جميعاً؟

- مطالبي بسيطة، كثرة الخيالات ستؤدي إلى الهلاك، أفلا نختار خيالاً واحداً نحيا فيه جميعاً؟

وصل هومو لقرية جديدة مليئة بالأكواخ فيبدوا انه مجتمع كبير وكان هناك كوخين كبيرين في حدود القرية، توجه هومو لهما مباشرة ودخل لواحد منهما ليجد رئيس القرية جالسا مع زوجته يشربان الخمر في وضع رومنسي جميل

- أفلا تدرك المدارك بهدوء وتقبل ما جاءك به الكون فتحيا طويلا، أفلا تريد أن تكون إنيمياً وترمي عنك الزوائد. ويا سيدتي هل قبلت هذا التحديد؟ لما لا تكوني كصفار البيض المختلف والمتشابه أو كموج البحر الكلي والجزئي، انت منا ونحن منك

- ما بالك يا هومو تقاطع عصافير الحب لتنشر فكرتك العجيبة. لما لا تريد أن تدرك المدارك أنت شخصيا وتعترف أن حربك مع هذه الزوائد حرب خاسرة

أثناء هذا الحوار الخفي وقف الرئيس متوجها نحو مقاطع الجو الجميل وصرخ للناس ليأتوا ويمسكو هذا المجنون

قال الرئيس غاضبا

- أنا لا أتسامح مع من يتطفل على خصوصيتي

فقام الناس بإمساك هومو وأخذه إلى شجرة كبيرة وربطوه معها ليقرروا لاحقا ماذا سيفعلون به.

ظهر هوم فجأة أمام هومو

- لعلك فهمت خطورة ما تفعل الآن، ها أنت في هذا الوضع المزري
- الكون قارص قاتل والأرض منه وفيه متعاكسة. النار تتغير ألوانها مع شدتها فكيف تقلقني شجرة كبيرة تعطيني الظل رغم ما أثر الناس فيها من حبال. هذه حياتي أنا أرى ما هو موجود فقط
- على ما يبدوا لي أنت تصبر نفسك على المشكلة التي أنت فيها، لأن الحبل موجود في النهاية وهو يؤثر عليك وعلى الشجرة

قاطعته زوجة الرئيس التي جاءت متخفية للكلام مع هومو

- فكرت قليلا فيما قلته لي لكن ماذا يجب أن أفعل ؟

- الأسود والطيور والحيتان تعرف أفعالها، تفكر قليلا وتفعل كثيرا. جنساها يعرفان ولا يغيران، فانزعي تغييرك وكوني إنما مثلنا"

لمحها رئيس القبيلة وتوجه مسرعا للشجرة ممسكا هومو من رقبته صارخا ملطخا وجهه باللعاب المتطاير من فمه بسبب الصراخ

- هل تريد أن تسرق مني زوجتي الآن هل تريد أن تموت، قل لي هل تريد أن تموت؟

كان هومو على وشك أن يموت حتى قامت زوجة الرئيس بضرب زوجها بصخرة على رأسه لتتطاير الدماء في كل مكان ثم انهارت على الأرض وبدأ الناس في الالتفاف حولهم.

بدأ الناس في الصراخ معلنين أنهم لديهم رئيس جديد. قاموا بفك أسره وتوجه نحو تلك المرأة متجاهلا كل الحشد الذي كان يفوق المئة شخص سائلا لها

- ما الاسم الذي اختاروه لك ؟

نظرت تلك المرأة نحوه بحزن في عينها وقالت

- أنا ميكاييلا

- إذا يا أيتها البشرية لقد ولدتِ من جديد. اختاري اسما يناسبك كحاكمة لهذه القرية. فأنت تستحقين هذا

تفاجأت ميكايلا من كلام هومو وردت عليه

- كيف لي أن أحكم هذا العدد من الرجال وأنا مجرد إمرأة ؟

ليرد هومو خائبا

- إذا أنت لست مستعدة بعد لتكوني من الإنيما. عندما تصبحين مستعدة ستعرفين وحدك. فكري في ما حدث اليوم لما تبقى من حياتك. وما أنا بآمر بل أريد مصلحتك

ثم خرج هومو من تلك القرية وعاد للغابة.

أشياء

مرحبا يا سادة، معكم من فقد كل شيء حتى نفسه. معكم من كره كل شيء له علاقة بالحياة. ولا أبحث عن أي شيء إيجابيا كان أم سلبيا، أشيائي ليست لي وأنا لست لي. كل حرف يخرج من رأسي نحو يدي لتترجمه على الشكل الذي ترونه الآن ما هو إلا تنهداتي الوجودية، وما يختار رأسي أن لا يخرجه أكثر حدة فلا توجد حروف كافية لتصف هذه المأساة المضحكة التي يراها الناس المحيطون بي يوميا. ربما يحزن البعض عندما لا يجدون من يفهمهم لكن يا أيها البشر من العجيب أنكم ورغم كل هذا الوقت لم تدركوا بعد أنه لا يوجد بشري يفهم بشري آخر. وهذا ليس بالشيء الغريب فأنتم تعتمدون على اللغة ولا تزال جد قاصرة في شرح ما يحدث في الدماغ من أفكار ومشاعر.

ليس من المقدر أن تفهموا بعضكم البعض، أنا أرى الحيوانات لا تحاول ذلك وتعيش أفضل منكم، حتى مع افتقارها الرفاهيات التي تعتقدون أنها من ضروريات الحياة. أنتم كرملٍ في الصحراء يدرك أنه رمل ومحاولتكم فهم مشاعر بعضكم وإيجاد من يفهمكم كنجم في مجرة أخرى، وأنا خارج الكون أنظر لكم وأضحك متألما في شعور لن تفهموه ما دمتم لم تتجاوزوا حدوده بعد.

كيف تريد الطيران وأنت تعيش في عالم مليء بالبطاريق، عالم يضرب الأهمية عرض الحائط ويركز على البقاء والتكاثر، ومشكلتنا أننا أعطيناه أكثر من ما يستحق، فعامل العاهرة بسوء لكي تعاملك بشكل جيد.

طلبت من الدنيا ابتسامةً، يا نفسي كم كنتِ غبيةً فلهذا عاقبتك ولست نادما، لن أندم يومًا على تقليم أظافر عقلي فقد طالت أكثر من اللازم وأصبحت مضرة لي وللناس من حولي. صحيح أنهم هربوا مني قبل تقليمها فمن يحتمل العيش تحت مخالب النمر، لكن حتى لو بقوا ليشهدوا مخالب الفأر فلن تروق لهم كذلك. وهذا ليس غريبا فمن كان يعيش مع نمرٍ يومًا لن يأمنه إن تحول فجأةً إلى فأر.

بدأت الرواية في عالم مليء بالروايات عند أول خطوة أدركت أني خطوتها ثم عرفت إلى أين تأخذني. فهمت من أول صرخة سمعتها أن العالم ليس مكانًا لي فقد أحببت الهدوء.

يا بشر، إن العالم هادئ بطبعه فلماذا تفتخرون بتشويهه. وذنبي الجميل أني لم أكن مثلكم، ولن أكون مهما حاولتم تغييري ومهما حاولتم الترويج أني شاذ، فأنتم الشواذ

في الحقيقة وما أنا إلا رجل يحاول كشف ألاعيبكم. وما أنا إلا رجل طور عيناً خلف جبهته، فقد سئمت فكرة النظر ثم التحديد.

بشر العنقاء

قبلت ثغري باكيًا مترنحًا، فلما مال طاب عقلي من قرب إفراز بعض المخدرات. أنا الإنسان المقدس قد قتلتني الحياة. قدستها أيضا محاولًا قتلها، قالت لي ويحك لست بكاتبة مثلك.

ابتسمت قائلا، وهل هذا ذنبي ؟

قالوا لي ابحث لنا عن ماء لن نموت بعد شربه، فأحضرت سمًا بدون ترياق. إن لم تأمن لا تقلق فإني شارب له قبلك. الكل مات ما عداي فاللعنة لماذا أنا الوحيد الذي لا يعمل عليه.

أكبر قوة للفيل سببت له أقوى ضعف. حجمه طلب منه الكثير من الأكل ولو قرر أكل اللحوم كان سينتهي قبل أن يبدأ.

أكبر قوة لي سببت لي أقوى ضعف. حجم رأسي يطلب مني الكثير من التفكير وقررت التفكير كثيرا وانتهيت قبل أن أبدأ.

أريد أن أكون فيلًا.

فماذا بعد ؟

شيطاني يوسوس لي لكي لا أفعل الأمر وأنا أحاول إقناعه يوميا أن لا غاية من الإستمرار. استسلم لعنك الله. أو ربما أنا هو الشيطان وأخذت السيطرة فيا صاحب الجسد خذه مجددًا إني لا أحتاجه.

يا للصدفة لقد رجعت لي ذكرياتي الشيطانية. خذه فقط، أرجوك خذ الجسد عني إني لا أريده... اللعنة لقد قال لي العب غيرها.

من عجائب وطرائف حياتي أني قمت يومًا بطلب المساعدة، نظَرَت في عيني مؤكدةً أن كل شيء سيكون بخير، لم أصدق لكني احتجت ذلك الحضن فأخذته بحرارة. ومن جمال اللحظة غفوت فيها، فتحت عيني بعد مدة لأجد الكأس فارغًا تبا سأشرب كأسًا آخر لقد كان جيدًا.

أنا سأموت.

أنت ستموت.

نحن سنموت.

يميل الناس لتعقيد العالم الذي نعيش فيه، لكنه أبسط جدا مما يتخيلون. إنه عبارة عن مجموعة من الكائنات المجنونة التي تأكل بعضها البعض كوسيلة للبقاء، وهذا ينطبق على البشر فيما بينهم بشكل خاص وعلى كل الكائنات فيما بينهم بشكل عام.

نحن فهمنا ورفضنا الإنتماء، الهروب أم الفضح أم الدعم كلهم بدون فائدة، فالقاعدة لن تتغير وستبقى فوق الأغلبية. ولا أستطيع النظر للمنتمين دون أن أشعر بالشفقة، فوهم الحرية أجمل عند صاحبه من الحرية بحد ذاتها.

أقرب شيء يمكننا الوصول إليه من الحرية هو أن ندرك أننا لسنا أحرارًا. نزيل الشوائب ونرى العالم على حقيقته حتى لو كان ذلك يستوجب أن نلبس نظارات لكي لا تحترق أعيننا.
عندها سنموت لكن الموت ليس النهاية دائمًا فبعده سنولد من جديد، ككائن آخر أسمى مما كنا عليه. سنمر بالنيرفانا ونرمي الاسم القديم ونتحول إلى "بشر العنقاء"

ولن أتكلم أنا بل سأتيح المجال لبعض من أصدقائي الموتى :

- خسئتم وخسئت معكم، إن الجبار لن يكون جبارًا دون أن يُسحق كالبعوضة... الصقر لن يحلق دون أن ينزل إلى الأرض... وأنا ما كنت لأحلق في الفلك بعيدًا لو لم أسحق نفسي مرارًا وتكرارًا.
- صحيح يا أختي فقد مر الكثير من الوقت منذ بداية كل شيء، ولم يدركوا بعد أنهم مجرد حشرات. وحتى الذين أدركوا منهم ذلك لم يقتنعوا وأرادوا المزيد لكن هيهات.

سمعتم ما يكفي...

شاعر نجس

رسمت حدي وكان زائفا تماما كحدود أرضكم، فكلي ملكي ولي الحق في الذهاب أينما أريد.

ألم يدركوا أنهم تحت تخدير الحياة، لكن في حالتي أنا المخدَر لأنني الوحيد الذي لست مخدرًا !

عصاني الزمان والخطأ فيا فقد حاولت ترويضه، همس لي أن ترويض تنين أسهل رغم عدم وجوده. قلت لو كان الأمر هكذا فما أنت مقارنةً به.

لن يطول الوقت قبل أن تبدأ نهاية المطاف، فالطريق سئم مني وكلنا ضحكنا متوافقينَ مازحينَ عن كيف يستطيع مواصلة خداع الجميع وما هم له براصدينَ.

لست بمميز فإني أضعفكم لكن ضعفي تميز بوعيه، ذممت نفسي على هذا فيا ليتني كنت القوي الجاهل.

خطوتي فوق السحاب ثقيلة ولم أسقط رغم هذا بل وارتفعت متجاهلا قوانينكم الغبية. ففيكم الغيبة والحقد بين بعضكم وأنا أفضل منكم فأوجهها لنفسي.

لا تلم المخمور المتمايل بل لم من كان سببا في دموعه، واشك همك لنفسك فهي أولى بأن تعاتبك، حسن سمادك تحصد أفضل المحاصيل، ولا تلمني فمثاليتي منعتني من إيجاد السماد.

تعودت أناملي على ترجمة مشاعري، فلم تتمكن بعدها من العمل على أمور أخرى. تلك الترجمة التي لم أفهمها يوما، الجدار أصبح يعرف حجم قبضتي، والقلم سئم من التشطيب رغم الابداع. ربما تأخذ يدي بعض الإجازات، لكني لا أفعل. يا ليتني كنت يدي ففكرة الشعور بالألم المجرد من دون تفكير ومحاولة إصلاحه وعدم القدرة على فهمه مغرية جدا.

لو خاطبتني ستشتمني، ولا ألومها فإني في صفها، ولو كانت متحضرة قليلا ستضربني دون الحاجة للكلام معي أصلا.

هذا بالنسبة ليدي أما إن سألتني شخصيا فإني السائح الذي الذي ضيع جواز سفره، ولا توجد سفارة بلدي في المكان الذي أتواجد فيه.

أنا الضائع المخدر بالحزن، لا الكلمات كافية لأشعر بالإنتماء ولا مكان لي معي أو معكم. حياتي كالجبل الشاهق من وجهة نظر نملة، ومحاولاتي لإشعال نار تحت المطر وكتابتي كالأبكم الذي يخاطب الأصم.

لعل بوصلتي معطلة لكن عند التدقيق لم تعمل يومًا. أواصل الصيام عن التفكير في الأمر، أليس الجميع معطلة بوصلته.

لطالما قالوا أن التغريد خارج السرب يجعلك مميزًا، لكني فقدت جناحي ولم أستطع الطيران بعدها، فقدت جناحي متألمًا في البداية، لم ينقص الألم مع مرور الوقت بل

زاد، أنا فقط اعتدت عليه، أصبح مألوفًا جدًا لكن مؤلمًا أكثر وربما الاعتياد يزيد قسوة الألم فقد أصبح جزء لا يتجزأ منك، طلبي للمساعدة لم ينجح في المئة مرة الأولى لهذا أوقفته...

يا نفسي ما بك ؟

لم تستطيعي مجاراة الوحوش الموجودة داخلك وخارجك فماذا فعلتي ؟

هل تظنين أنك تستطيعين التحول إلى وحش ؟

فإذا كنت تستطيعين فعل ذلك لن ترغبي فيه بالدرجة الأولى أليس كذلك ؟

"ما أجمل الحياة" لقد قلتها يوما أنسيتي ؟

فأين اختفت تلك الإيجابية ؟

أعرف الجواب لا داعي للرد لكن لماذا قررت سيرورة الحياة أن توجدك أصلا ؟

قلتي لي يوما أن كل شيء سيكون بخير لكن قد مرت سنين طويلة ولا أثر للخير أين هو ؟

أعرف أنك لا تملكين الأجوبة لكن أهي موجودة أصلا ؟

تحاولين النسيان لكن لا يمكن للنهر أن يتوقف عن التدفق بمجرد أنه أراد ذلك.

تسارعين إلى الفَناء لكنه كالفِناء دائمًا موجود خارج للبيت.

تجابهين الظلام لكن الوجود مظلم سواء أردت ذلك أم لا.

تقارعين الصمت لكنه طبعك، فالصخرة لن تتحول إلى ماء.

تشابهين الندم كأنك التعريف الدقيق له لكنك لا تفهمينه في نفس الوقت.

أنت ضعيفة بشكل قوي يثير الدهشة وما أنت إلا أنا...

***

قتلت أحلامي وما لبثت حاصدًا إلا الألم.

كنت مجرد طفل شغوف بلا هم ولا غم.

أكبر مشكل لي كان الاستيقاظ باكرًا والذهاب إلى المدرسة.

لم ألحظ كيف مر الوقت، وجدت نفسي محبوسًا بإرادتي بين أربعة جدران في هدوء مطلق، يشوبه ضجيج لا يصمت داخل رأسي.

أصبح أكبر أحلامي أن أجد حلمًا أسعى خلفه، شيئًا يؤنسني في حسرتي على نفسي وعلى الوجود بأكمله.

وجدت عالمي تَقلص.

أصبح أشبه برواية مملة لا قارئ لها،

وحتى الشخصية الوحيدة الموجودة فيها توقفت عن القيام بأي أحداث جديدة.

لم أعرف ما أو من ألوم، فلُمت نفسي.

لم أعرف ما يجب فعله، فلم أفعل أي شيء.

استمرت الحلقات المفرغة في الدوران و استمررت في الدوران معها.

ظننت أن لا خلاص لي.

حتى أدركت أن السطور لا تكمل نفسها.

وحينها عرفت السر البسيط : إن لم تعجبك الرواية التي تكتبها فأكتب واحدة جديدة.

حوارات مع الحائط.

مرحبا بك في العالم... لا تقلق كل شيء سيكون بخير...

"أرى الناس يقتلون بعضهم البعض من أجل بعض الكلمات في كتب لا يعرفون من كتبها أصلا"

لا لا تقلق، ستعتاد على الأمر.

"أرى الأغنياء يزدادون مالًا وسلطة والفقراء يزدادون فقرًا وتعاسة فقط بسبب النظام السيء الذي لا يريد الأغنياء التخلي عنه من أجل فائدتهم"

حسنا معك حق لكن هذه هي القوانين سواء أحببت أم لا.

"أرى الناس يتظاهرون وكأن كل شيء بخير في حين أن الأمور في الحضيض"

هذا هو الصح، لما لا تتأدب وتصبح مثلهم، من أنت لتثور على العالم.

حتى لو وافقتك في كل كلامك فهذا لا يهم، أكتب للناس الشيء الذي يريدون سماعه وستعيش حياة جيدة.

لقد كنت مثلك أعتقد أني أستطيع تغيير العالم، لكن من أنا لأغير شيئا لا يريد أن يتغير.

"إن كان العالم لا يريد أن يتغير سنغير إرادته"

كلامك جميل، أود أن أصدقه لكني خائف...

أنا خائف من الندم الذي سيحصل إن فشلت.

"قلت لي لا تقلق كل شيء سيكون بخير، كيف عرفت ذلك ؟"

أنا لم أعرف ذلك، قلتها كوسيلة لأطمئنك.

" إذا حان دوري لأطمئنك، كل شيء سيكون بخير. الفشل الذي تخاف منه ما هو إلا العالم يحذرك من خطورة تحديه، لكننا أقوى من ذلك "

نحن ؟

" نعم نحن معًا في هذا الآن "

لنغير العالم معًا.

***

"لو تم اختيارك بين الموت والحياة، ماذا ستختار؟ "

هذا سؤال غريب...

"فقط أجب عنه. "

حسنا، في الغالب سيختار الجميع الحياة وهذا أمر طبيعي لكني أود أن أعرف ماهو نوع الحياة المطروحة علي فالموت أحسن من بعض الحيوات.

"ستكون نفسها حياتك التي تعيشها حاليًا "

إذا أنا أميل إلى اختيار الموت، فلا شيء يعجبني في حياتي بكل صراحة وأرى الموت أحسن منها.

"لكني لم أقل أنك ستبقى عالقًا في نفس اللحظة."

لم أفهم ما تقصد.

"أنت سألتني عن نوع الحياة التي ستعيشها وقلت لك أنها نفسها هذه الحياة الخاصة بك ثم اخترت الموت، لكن حياتك لم تنتهي بعد، لقد حكمت على الحياة من اللحظة التي أنت فيها وهنا يكمن خطؤك. "

لكن من أين يجب أن أحكم من غير اللحظة التي أنا فيها، فأنا الذي أعاني حاليًا والذي سيكون مرتاحًا ليس أنا الحالي بل أنا آخر.

" أفهم ما تقول، لكن ألا يستحق أحد نسخك أن يكون سعيدًا ؟ "

نعم ربما، لكنك الآن جعلتني ألوم نسخي السابقة على الحالة التي أنا فيها.

"هل تعتقد أن الأمر يعمل هكذا ؟ لا تجعلني أضحك فلا أريد أن أراك مثيرًا للسخرية، الشيء الذي حدث قد حدث والوجود لا يهتم بتغييره بل يواصل في التغير فكن كالوجود يا صديقي الجديد"

إذا أنت تقول أنه لا يهم رأيي عن الماضي الخاص بي ولا يهم رأيي المستقبلي فيا حاليًا، ما يهم هو أن أفعل الشيء الذي يفترض بي أن أفعله.

" أنا لم أقل شيئًا، وأيضا لا يوجد جواب صحيح النتائج هي من ستحدد"

***

" ماذا لو ضربت رأسك بكل قوة ؟ "

لماذا تقول هذا ؟

" ماذا لو فعلتها ؟ ماذا ستفعل حينها ؟ "

سأتألم، أنا متأكد من هذا لكن لا أدري ماذا سأفعل لك.

" حسنا لنقل أني فعلتها وأنت قمت بردها لي بنفس القوة، هل ستشعر بالراحة ؟ "

لا أظن هذا

" إذا لنقل أنك ضربتني بمئة ضعف القوة التي ضربتك أنا بها، هل سترتاح ؟ "

لا، سيكون هذا قاسياً

" ما هو الشيء الذي يجعلك تشعر بالراحة بعد أن أضربك ؟ "

بكل صراحة... لا شيء، فالفعل قد تم القيام به. ربما لو تصنع آلة زمن وترجع لتوقف نفسك قبل ضربي حينها سيكون أفضل.

" لكنك لن ترتاح لأنك لن تتألم أصلا ولن تشعر بشيء "

أعتقد ذلك، لكن عدم القيام بأي شيء أفضل من القيام بشيء سيء.

لقد كنت أخاف كثيرًا من الصمت عندما أكون رفقة الناس، وأواصل التفكير في ماذا يجب أن أقول لينتهي الأمر بي أقول أمور لا يجب أن تقال، فتعلمت أن السكوت أفضل من قول أمور لا يجب أن تقال.

" أليس هذا واضحًا ؟ "

أنت تتحاذق بكثير من الأسئلة. لما لا نعكس الأدوار قليلًا وتخبرني أنت ما ستفعل لو قمت بضربك ؟

" بالنسبة لي الأمر يعتمد على من يقوم بالفعل وإن كان قام به من قبل، ربما سأدع الأمر يمر إن كانت أول مرة تضربني فيها لكن بعد بعض المرات لن تتاح لك الفرصة أصلا للقيام بها مجددًا، إذا جوابي هو أني لن أفعل شيئًا "

وماذا لو أخبرت كل من يعرفك أن يقوم بضربك ؟

" يا له من سؤال مضحك، لو وافقوا على الأمر فهذا يعني أني سأصبح لا أعرفهم لكن في كل الأحوال أنت الشخص الوحيد الذي أعرفه. "

حسنا لكن ما غاية هذا السيناريو أصلا ؟

" أردت أن أعرف أي نوع من الأشخاص أنت. "

إذا ماذا تظن ؟

" أنت شخص غير واقعي ومن الصعب أن تتقبل الأمور التي تحدث لك وهي تؤلمك كثيرًا رغم عدم إظهارك الأمر. ربما سيكون من الأفضل لك أن لا تفكر كثيرًا في الأسباب فأحيانًا لا توجد أسباب لتبحث عنها أصلًا، من المنعش أن ترى الشيء

كما يبدو عليه دون التفكير في النوايا الخفية والخطط والهفوات. لو فعلت هذا ربما تحسن قليلًا "

كان هذا صريحًا جدًا...

" هل تريدني أن أنتقي الكلام ؟ "

لا. لكن أي نوع من الأشخاص أنت ؟

" النوع الذي لا ينتقي الكلام. "

***

" هل تتذكر تلك الحادثة ؟ عندما جلست في نفس المكان الذي تجلس فيه الآن قبل 7 سنوات، كنتَ أقل نضجًا من نفسك الحالية، لكن الشغف نفسه لم يتغير."

صدقني لا أريد التفكير في ذلك الوقت، لطالما تجاهلت تلك الأيام.

" كنت تكتب عن جنونك في دفتر أزرق كبير... "

صحيح، لقد بحثت عنه كثيرًا لكني لم أجده أبدًا، أتذكر أن غلافه الأمامي قد قطع، لكن أكثر ما أخافه هو أن يكون أخذه أحد الأشخاص وقرأ محتوياته.

" ولماذا تخاف هذا ؟ "

كيف لك أن تسأل هذا السؤال ؟ ألا تتذكر ما كنت أكتب، لقد كانت مذكرات لشخص مجنون متوهم، شخص يحتاج إلى رعاية نفسية.

" يا صديقي، لو كان كاتب ذلك الكلام يحتاج إلى رعاية نفسية، فأنت هو المعني بكلامك "

لكني تغيرت...

" هل تعتقد أن هذا التغير جعلك أفضل ؟ على العكس من ذلك، حالتك تزداد سوءا مع كل حرف تكتبه، أنت فقط لا تلاحظ، تمامًا كما كنت لا تلاحظ قبل 7 سنوات "

لكني كنت أكتب كلام أشخاص خياليين يتكلمون معي... اووه، فهمت نقطتك.

" قبل 7 سنوات كنت تكتب هربًا من حياتك، الآن أنت تكتب لتعيش حياتك. قبل 7 سنوات كرهتَ الحياة، الآن أنت تتمنى الحصول على واحدة. "

حتى ولو، فقد تغير الكثير منذ ذلك الوقت، ولست نفس ذلك الشخص ولا أرغب أن أكون هو مرة أخرى، ولو رجعت بسنوات أكثر للوراء سأبكي... لهذا استمررت في الهروب من الماضي، استمررت في عدم التفكير فيه.

" لنفترض أن شخصًا وجد حقًا ذلك الدفتر وقرأ كل تلك الصفحات التي كتبتها، كيف سينظر إليك في رأيك ؟ "

لم أفكر يومًا في هذا، كنت دائم الرفض للناس أن تقرأ كلامي من خوفي كيف سأنظر لهم وأنا عارف أنهم يعلمون ما بداخل عقلي، ولم أفكر أبدًا في رأيهم، لكن أليس حتى هو لا يهم ؟ "

" بالطبع لا يهم، لكني أحاول الوصول إلى نقطة هنا، كيف سينظر إليك في رأيك ؟"

بعيدًا عن الإعجاب أو عدم الإعجاب بالمحتوى سينظر لي على أني شخص يكتب ما في رأسه دون أن يهتم برأي أحد، لكن بما أنه قرأها بالصدفة ربما يظن أني أكتبها لنفسي فقط.

" هل ستتغير معاملته معك حسب رأيك ؟ "

صدقني لا أعرف الجواب، هذا السؤال جعلني أخفي أفكاري الحقيقية عن المقربين مني، وأحمل مرآة في الأرجاء لأعكس الشخصية التي يريدها كل شخص.

" إذا دعني أغير السؤال قليلًا، لماذا تهتم لهذه الدرجة احتمال أن تتغير معاملته معك؟ "

ربما لأني لم أجرب حدوث هذا أبدًا، وأخاف أن لا أستطيع تحمل الوضع.

" وما المهم، بما أنه لم يقبلك على ماهيتك، الأفضل أن تخسره على أن تغير نفسك من أجله. "

أعرف هذا بالطبع، لكن لماذا لا أستطيع فعلها ؟

" أنت متعود على عدم فعلها، هل تعتقد أن المدمن سيتخلص من إدمانه إن عرف أن ما يفعله خاطئ ؟ المعرفة وحدها لا تكفي، تحتاج الرغبة، الشغف، تخطي الحدود، تحمل الألم الذي لم تجربه من قبل وعديد من الأمور "

إذًا من أين أبدأ ؟

" لا أحد يعرف... أنت فقط من تعرف. "